

دور الفنادق الاندلسية في التجارة

(بأن عصر المرابطين والموحدين 5-6هـ/11-12م)

The rol of andalusian hotels in trade
during the Almoravids and Almohads era(5-6H /11-12AD)رنان أسيا¹

مخبر المخطوطات جامعة - أبو القاسم سعد الله - الجزائر-2

assia.renane@yahoo.com

تاريخ الوصول 2021/12/06 القبول 2022/02/20 النشر على الخط 2022/06/05

Received 06/12/2021 Accepted 20/02/2022 Published online 05/06/2022

ملخص:

جاءت هذه الدراسة لتوضيح الدور الفعال لفنادق الاندلس في التجارة إبان عصر المرابطين والموحدين، فموضوع بحثنا يعتبر دراسة جديدة، فلا توجد دراسات قد تناولت هذا الموضوع إلا بإشارة صغيرة له لحد ارتأينا البحث فيه، فالفنادق التجارية لها أهمية في مساهمتها الكبيرة بدفع عجلة الاقتصاد وإعطاء قوة الاستمرارية للنشاط التجاري، فهي مكملة ومصاحبة للمنشآت التجارية من أسواق ومراكز تجارية وقيساريات. الإشكالية المطروحة هي ما دور الفنادق الأندلسية في التجارة وما مدى مساهمتها في بناء الاقتصاد؟، وبعد الإجابة عن هذه الإشكالية نتجلى لنا نتائج تتمثل في أن كل من دولة المرابطين والموحدين عرفا قيمة هذه المنشآت التجارية لهذا السبب قاموا بتشييدها والاهتمام بالمرافق الاقتصادية لكونها تساهم في نمو الاقتصاد ، إضافة لهذا فالفنادق منشأة تجارية تساهم في استقرار التجار والتجارات وعامل أساسي لقيام التجارة وإن قلنا أن الدول السابقة قد اهتمت بهذا الجانب إنما دليل على أنها تعرف أن قوة الدولة من قوة الاقتصاد ، وإن تعلمنا من تاريخنا الاقتصادي وطبقناه على حاضرنا فسيكون مستقبلنا أفضل.

الكلمات المفتاحية : الفنادق، تجارة، الأندلس، مرابطين، موحدين.

Abstract:

This study aims to clarify the effective role of andalusian hotels in trade during the Almoravids and Almohads era. The topic of our research is considered a new study, and som studies have taken up this topic with a short mentions, so we decided to focus our research on it .

The commercial hotels had an important role by their great contribution to advance the economy and strength the continuity of the commercial activity. It was meant to complement and accompany the commercial establishments such as markets, commercial centers and qaysariyas.

The problem posed in general is what is the role of andalusian hotels in trade and to what extent they contribute to building the economy ?, After answering this problem, we have results that are represented in the fact that both the almoravid and the almohads knew the value of these commercial establishments for this reason they built them and took care of economic facilities because they contribute to the growth of the economy in addition to this, hotels are a commercial facility that contributes to the stability of merchants and trade and a key factor for the establishment of trade .

Key words: Hotels, trade, Al- Andalus, Almoravids, Almohads.

1. مقدمة:

ازدهرت الحياة الاقتصادية وبالضبط النشاط التجاري في القرن 5-6هـ، فاستلزم بناء الفنادق التي تحفظ سلع التجار وتضمن سلامتهم، ففي كل مدينة من مدن الأندلس توجد أسواق وإلى جانبها فنادق، هاته المنشأة التجارية التي صارت معلما مميزا من معالم المدن عبر العالم الاسلامي¹، وأثرت على الحياة الاقتصادية بشكل كبير، فجاءت هذه الدراسة لتسهيل عملية التعرف على الفنادق التجارية في الأندلس في فترة المرابطين والموحدين، ومساهمتها في الاثراء التجاري والاقتصادي، وعليه الاشكالية المطروحة هي ماذا نعني بالفنادق؟ وماهي أهم الفنادق بالمدن الأندلسية؟ وما دورها في التجارة؟ وكيف ساهمت في الازدهار الاقتصادي؟ وقبل الخوض في الحديث عن دور الفنادق في التجارة بالأندلس، ارتأينا الحديث عن المنطقة التي وقعت فيها الدراسة بالإضافة إلى التعريف بالفترة المدروسة.

2. جغرافية الأندلس في القرنين (5-6هـ/11-12م):

يعتبر القرن 5-6هـ/11-12م ميلاد دولتي المرابطين والموحدين، هاتان الدولتان اللتان على أساسهما تحقق نوع من الوحدة والاستقرار. فحكم المرابطون امبراطورية واسعة، شملت على بلاد المغرب والأندلس فامتدت من المحيط الاطلسي غربا إلى بلاد السودان ونهر النيجر جنوبا²، ومن الشرق تحدها تونس فكانت تحت ملك أبناء عمومته من صنهاجة بنو زيري، لهذا لم يستولوا عليها، وملكوا بلاد الأندلس شرقا وغربا³، فقوي سلطانهم وارتفعت رايتهم إلى أن جاء سلطان جديد فضعف أمرهم وانتهوا بزوال دولتهم. فبسط الموحدون يدهم على بلاد المغرب والأندلس في القرن 6هـ-12م، وصارت دولة الموحدين من الشرق إلى ما وراء القيروان وبلغ اتساع دولة الموحدين إلى أبعد مدى⁴، فصارت تحدها من الجنوب الصحراء الكبرى ومن الغرب المحيط الأطلنطي ومن الشرق صحراء لوبية ومن الشمال البحر المتوسط والبلاد الأندلسية⁵.

2.1 الحدود الجغرافية للأندلس

الأندلس كلمة اشتقتها العرب من كلمة وندلوس وهي اسم قبائل الوندال الجرمانية ولما فتح العرب إسبانيا عربوا هذا الاسم وسموها وندلوس⁶. هي شبه جزيرة على شكل مثلث⁷، تقع بين عالمين في الطرف الغربي من البحر المتوسط وفي الطرف الجنوبي لأوروبا الغربية فهي بوابة بين عالمين المسيحي والمسلم¹.

1 أوليفيا ريمي كونستيل: التجارة والتجار في الأندلس، تعريب فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، 2002، ص185.

2 ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب في روض القرطاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص166.

3 ابن أبي زرع: نفس المصدر، ص157.

4 السيد محمود: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2007م، ص50-51.

5 السيد محمود: نفس المرجع، ص50-51.

6 الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة النهضة، القاهرة، (د.ت)، ص35؛ قبائل الوندال الجرمانية استولت على طنجة حتى طرابلس وقرطاجنة التي سقطت على أيديهم سنة 493، وبذلك ضاعت ولاية شمال افريقية من يد الإمبراطورية الرومانية (عاشور عبد الفتاح: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م، ص72).

7 الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، ط2، 1984م، ص32-33؛ المقري: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ج1، 1988م، ص128-129؛ أبو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفدا صاحب حماه ت سنة 732): تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص165-166.

2.2 تضاريس الأندلس

الأندلس بلاد معروفة بتضاريسها من جبال ومرتفعات، فشبّه الجزيرة الايبيرية عبارة عن هضبة متوسطة²، ويطلقون عليها اسم المزيّتا (LA MESETA)³، وهي أعلى بلاد أوروبا يزيد ارتفاعها على ثمانمائة متر، وتعد السلاسل الجبلية فيها بكثرة والتي يصل ارتفاعها إلى ألف وستمائة متر⁴.

أشهر جبال الأندلس الواقعة شرق البلاد⁵ وتسمى البرانس أو البرتات ومعناه في اللغة العربية الأبواب⁶، وهي تعتبر الفاصل البري الذي يربط شبه الجزيرة بأوروبا، فتلتقي في الشمال مع المحيط الأطلسي، وفي الجنوب مع البحر المتوسط وهذه الجبال تسمى أيضا بالجبال الايبيرية، وفي وسطها يوجد جبل ممتد من الشرق الى الغرب ويسمى بجبل الشارة⁷.

إلى جانبه نجد جبل شلير الواقع جنوب غرناطة المعروف ببرودته الشديدة على طول العام⁸، إضافة إلى جبال سرقسطة الواقعة في الشمال الشرقي من الأندلس، وجبال شقورة الممتدة في وسطها⁹، فهذه التضاريس من جبال قد أثرت في مناخ الأندلس وهذا بسبب شساعة الأرض الأندلسية.

المناخ

يسود الأندلس مناخ البحر المتوسط ومناخ غرب أوروبا¹⁰، فهي مليئة بالتناقضات من الناحية الجغرافية و المناخ¹¹، فمناخ البحر المتوسط يتميز بالاعتدال طول السنة¹²، وفي النصف الشمالي من وادي تاجة تكثر الامطار لذلك تعتبر منطقة غنية¹³، وفي الجنوب الغربي الامطار قليلة ويغلب عليها الجفاف¹⁴، وسقوط الامطار أدى الى بروز أنهار وهي كثيرة في الأندلس.

الأنهار أنهار الأندلس عديدة فبعضها يجري إلى الشرق ويصب في البحر المتوسط والأخر يجري إلى الغرب ويصب في المحيط الأطلسي¹، ومن أهمها نهر إبره (EBRO) الذي يجري إلى مدينة سرقسطة في الشمال، وفي الجنوب نهر تاجة الذي تمركزت

¹ أوليفيا كونستبل: المرجع السابق، ص33.

² حسين مؤنس: معالم المغرب و الاندلس، دار الرشاد، 2004م، ص263.

³ ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الاندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، (د.ت)، ص15.

⁴ حسين مؤنس: المرجع السابق، ص263.

⁵ القلقشندي: صبح الاعشى في صناعة الانشا، القاهرة، 1915م، ج5، ص213.

⁶ حسين مؤنس: المرجع السابق، ص264.

⁷ القلقشندي: المصدر السابق، ص213.

⁸ العمري (لابن فضل الله العمري شهاب الدين ابي العباس احمد بن يحيى ت749): مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق محمد عبد القادر خريسان وعصام مصطفى هزيمة ويوسف احمد بن ياسين، ج4، الامارة العربية، 2001م، ص141-142.

⁹ السيد كمال ابو مصطفى: تاريخ الاندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، (د.ت)، ص88.

¹⁰ السيد كمال: نفس المرجع، ص88.

¹¹ ليفي بروفنسال: المرجع السابق، ص14-15.

¹² مقري: المصدر السابق، ج1، ص129-130.

¹³ حسين مؤنس: المرجع السابق، ص264-245.

¹⁴ السيد كمال: المرجع السابق، ص89.

على حوافه مدن مثل قرطبة واشبيلية²، وهذا النهر أعطى أهمية كبيرة لمدينة اشبيلية إذ تسير فيه المراكب التجارية متجهة نحو مينائها³.

فجغرافية الأندلس جعلت منها منطقة استراتيجية وقبلة للوافدين عليها من مختلف البلدان، سواء لتلقي العلم أو للتجارة، فكان على الأندلس استقبالهم وحفظ سلامتهم إذ وجب بناء أماكن مخصصة لهم، وللتجارة نصيب وافر من هذه الأماكن فنجدهم قد وفرو منشآت معمارية تجارية سواء للممارسة التجارة أو للمبيت وحفظ سلعهم وعليه وجدت الفنادق.

3. مفهوم التجارة والفندق:

لكل كلمة معنى ولكل اسم مصدر ومفهوم، قبل التكلم عن الفنادق ودورها في التجارة بالأندلس لابد من تعريفهما لغة واصطلاحاً.

3.1. التجارة لغة واصطلاحاً:

لغة: لفظ مشتق من فعل بَحَرَ يَبْحَرُ بَحْرًا ويعني ممارسة البيع والشراء⁴، وتقليب المال لغرض الربح⁵، وتاجر فلان أي اشتغل بالتجارة. اصطلاحاً: التجارة هي تنمية المال، وذلك باقتناء سلعة رخيصة وبيعها بسعر مرتفع، وقد عرّفها ابن خلدون بقوله: "...هي محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخيص وبيعها بالغلاء..."⁶، وهذه العملية تسمى ربحاً، وإذا انتظر التاجر إلى أن تحين فرصة تغيير الأسعار في الأسواق من الرخص إلى الغلاء يكون ربحه أكثر.

تقوم التجارة على أساسين مهمين سلامة رأس المال والربح الوفير⁷، وهذا يتوقف على الآخرين من أجل اقتناء ضرورياتهم⁸، ومن هنا وجد تبادل السلع ومن ثم البيع والشراء، وهما عمليتان أساسيتان لقيام التجارة.

¹ الزهري: كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، الظاهرة، (د.ت)، ص 139-140؛ مختار العبادي احمد: في تاريخ المغرب والاندلس، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص 19.

² ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 1، ص 195.

³ القلقشندي: المصدر السابق، ص 63-64.

⁴ ابن منظور: لسان العرب، مج 4، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص 89؛ بن سيدة: المحكم والمحيط الاعظم في اللغة، تحقيق عبد الستار احمد فراج، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، (د.م)، 1958م، ص 248؛ المطرزي: المغرب في ترتيب المغرب، تحقيق محمود فاحوري وعبد الحميد مختار، ج 1، مكتبة اسامة بن زيد، حلب- سورية، 1979م، ص 101-102؛ الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق باسل عيون السود، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1998م، ص 91؛ الفائق في غريب الحديث، تحقيق علي البجاوي ومحمد ابو الفضل، ج 1، بيروت - لبنان، 1993م، ص 148؛ الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط 8، بيروت - لبنان، 2005م، ص 352.

⁵ مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ج 1، مصر، 1980، ص 73؛ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط 2، مكتبة الشروق، مصر، 2004م، ص 83.

⁶ ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، ضبط المتن خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر، لبنان - بيروت، 2001م، ص 494.

⁷ الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، تحقيق مأمون شبحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 2003م، ص 50.

⁸ جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت)، ص 125.

2.3 تعريف الفندق لغة واصطلاحاً:

لغة: الفندق كلمة يونانية (Pandokeia)، ويعرف أيضاً في المشرق بالخان، والخان كلمة فارسية¹.
اصطلاحاً: هو نزل يهياً لإقامة المسافرين مقابل مبلغ مالي، وهو مجموعة مساكن يبيت فيها التجار².
فكل فندق كان مخصص لتجارة أو سلعة معينة³، ولهذا تسمت بأسماء ما يباع فيها من البضائع، وكانت الإقامة بها تكلف غالباً⁴.

4- الفنادق الأندلسية:

الفندق بمفهومه السابق شغل مكانة هامة، إذ نجد الاقتصاد قد أثر على العمران الإسلامي وبذلك كثرت الفنادق في مراكز المدن⁵، وخصوصاً في عصر المرابطين والموحدين زاد تعميرها وهذا راجع إلى توافد التجار على المدن الأندلسية في هذه الفترة. وكثرة التجار تعني كثرة الأسواق وكثرة الأسواق تعني كثرة السلع والبضائع، ولحماية بضائع التجار تطلب وجود أماكن لحفظها وحفظ سلامة التاجر ولهذا وجدت المنشآت المعمارية التجارية مثل الفنادق في المدن الأندلسية هذه الأخيرة التي أصبحت محطاً للتجارات وبنات مراكز تجارية هامة.

فالفندق منشأة تجارية سهلت وظيفة التاجر بكل أريحية وساعدته في المضي للتعريف بتجارته والترويج لها والبقاء مدة أطول في بلاد مغايرة عن بلده، فساعد الفندق على رسم العلاقات التجارية وإبقائها حية، إذا هو مكمل لغيره من الأبنية التجارية مثل الأسواق والقيساريات والمراكز التجارية، فاحتل مركزاً ومرتبته جعلت من السلطات تحتم بينائه وتشيدده وهذا ما فعله المرابطون والموحدون في الأندلس، فكانت فنادقها كثيرة وفي قمة الإبداع.

1.4 وصف الفندق الأندلسي

تميزت الفنادق الأندلسية بصحنها المستطيل أو مربع الشكل يتوسطه حوض لسقيا الدواب، وتدور بالصحن ممرات تطل عليه، ويتوزع وراء هذه الممرات مخازن لحفظ السلع المراد بيعها بالجملة واصطبلات لإقامة الدواب ويشغل الطابق العلوي غرفاً مخصصة لمبيت النزلاء⁶.

¹ ابن سيدة : المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، (د.ت)، 1958م، ص390؛ ادم متر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبوريد، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، مج2، ص387.

² ابن حوقل: صورة الأرض، بيروت- لبنان، 1996م، ص363؛ جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت)، ص243-244.

³ ابن حوقل: نفس المصدر، ص362؛ كمال السيد ابو مصطفى: ، ص308.

⁴ كمال السيد ابو مصطفى: نفس المرجع، ص803

⁵ مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مصر، 1980، ج1، ص73؛ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق، مصر، 2004، ص83.

⁶ كمال السيد ابو مصطفى: نفس المرجع، ص803، اوليفيا كونستيل: المرجع السابق، ص189.

فندق الجنويين بغرناطة اختلف عن غيره من الفنادق الاسلامية الأخرى فقد زود بكنيسة ليقيم فيها التجار شعائرهم الدينية وفرن لصناعة الخبز وكان يشرف على الفندق ما يسمى بالفندقي وكان في هذه الفنادق مكان ليحفظ فيه التجار بضائعهم وتعلق بأفقال رومية الصنع، فهذه الفنادق التجارية مخصصة للتجار الأجانب¹.

فقد حرصت كل من سلطات المرابطين والموحدين المحافظة على العلاقات التجارية وذلك بتوفير مستلزمات المحافظة عليها ومن بينها توفير مأوى للتجار الاجانب، فكان لكل جنسية فندقا خاصا بها لا يشاركها فيها أحد، فهي على شكل أحياء في وسط المدن أو خارجها إذ تعتبر مسكنا ومقرا لبيع سلعهم في آن واحد².

بما جزء مخصص لإقامة موثق العقود، وبالأسفل مباشرة نجد غرف مخصصة للمال ومقر القاضي والسجن وفي ساحة الفندق الكنيسة والمقبرة، وأبواب الحي تغلق وتفتح على حسب المواعيد، وللفندق شرطة خاصة به إذ تتلقى أوامرها من القنصل، كما يحق للسلطات التدخل عند وجود سلعة مهربة أو قضية أو جريمة قام بها مسيحي، ونفقات الفندق يتحملها أهل الحي ثم يؤجرونه للتجار الأجانب³.

2.4 فنادق المدن الكبيرة

عند الحديث عن المدن الأندلسية لابد من التكلم عن مدينة قرطبة (cordoba) هذه المدينة العظيمة، التي كانت عاصمة الخلافة الأموية في الأندلس⁴، عرفت بقصورها الجميلة أبنيتها وشوارعها الواسعة، فكان لكل شارع أسواقه وحوانيته ومسجده إذ يقول الإدريسي عنها: "... في كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات..." ونفس المعلومات نجدها عند الحميري⁵.

فقرطبة تقع على الوادي الكبير⁶، مما جعلها قبلة الواردين من المسافرين والتجار وكان لكل سوق كبير فندق في قرطبة فهي لديها لديها ما يكفيها من الفنادق لاستقبال التجار وسلعهم⁷، فقد احتوت على نحو ألف وستمئة فندق وخان في اوائل القرن الثالث عشر⁸

¹ سامية مسعد مصطفى: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في اقليم غرناطة في عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003م، ص152-154.

² عيسى بن ديب: المغرب والاندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية 480-540هـ/ 1056-1145م، رسالة مقمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، اشراف أحمد شريقي، 1429هـ-1430/2008-2009م، 401-402؛

Dufourcq(ch .e) : l'Espagne catalane et le Maghreb, universitaires de France, 1966,p70,
Hedy(W) : Histioire du commerce du levent au Moyen-Age, Leipzing, paris, 1886,p430.

³ بن ديب: نفس المرجع، ص402.

⁴ الزهري: المصدر السابق، ص87؛ الادريسي: المغرب وارض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مطبع بريل، ليدن، 1823م، ص208.

⁵ الادريسي: نفس المصدر، ص208؛ الحميري: المصدر السابق، ص456؛ جودت هلال ومحمود صبح: قرطبة في التاريخ الاسلامي، 1986م، ص56.

⁶ الزهري: المصدر السابق، ص88؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج4، ص324.

⁷ الادريسي: المصدر السابق، ص208؛ الحميري: المصدر السابق، ص456؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص107.

⁸ أوليفيا كونستبل: المرجع السابق، ص188.

إلى جانبها نجد مدينة غرناطة¹ (grannad) التي لا تقل أهمية عن المدن الأندلسية، إذ أدى ازدياد النشاط التجاري في إقليم غرناطة في عصر المرابطين والموحدين وكثرة التجار الأجانب الواردين على هذه البلاد إلى ازدياد عدد الفنادق، خاصة في منطقة وسط مدينة غرناطة، وإلى جانب وظيفتها في تخزين البضائع فهي مأوى للتجار الغرباء²، ومن أشهر الفنادق في غرناطة فندق زايدة، وفندق الجنويين، الفندق الجديد وفندق السلطان³، وقد جهزت هذه الفنادق لخدمة التجار الغرباء⁴.

وغير بعيد عنها نجد مدينة المرية هذه المدينة التي تمتعت بتجارها الواسعة، فقد كانت قبلة التجار من بلاد الأندلس والمشرق⁵، كثيرة الأسواق والمتاجر وكلما زاد عدد المتاجر زاد عدد الفنادق⁶، إذ بلغ عددها في العصر المرابطي 790 فندقا، فالإدرسي يذكر يذكر تجارها ويقول: "...وهو رضى له سور عامر بالأسواق والديار والفنادق والحمامات والمدينة في ذاتها مدينة كبيرة كثيرة التجارات والمسافرون إليها كثيرون وكان أهلها مياسير ولم يكن في بلاد أهل الأندلس أحضر من أهلها نقدا ولا أوسع منهم أحوالا وعدد فنادقها التي أخذها عد الديوان في التعنيب الف فندق إلا ثلاثون فندقا وكان بها من الطرز أعداد كثيرة..."⁷.

فنادقها متواضعة المساحة وهي تتكون تقريبا من مخزن أو مخزين مرتفعين، ومخطط الطابق بسيط مؤلف من غرف صغيرة حول الفناء الداخلي الرئيسي ويمكن للتجار أن يقيموا في غرف الضيوف في الأعلى، في حين تبيت الحيوانات والبضائع في الطابق الأرضي بأمان حول الفنادق⁸.

من أشهر المدن الأندلسية في عصر الموحدين وعاصمة ملكهم، اشبيلية هذه المدينة المعروفة بتجارها للزيت والقطن⁹، وهي مدينة عامرة بالأسواق وأهلة بالحمامات والديار الحسنة¹⁰، فعرفت ازدهارا ورجا كبيرا بسبب كثرة التجارة ووفود التجار عليها ونجد الإدرسي مرة أخرى يقول عنها: "...مدينة اشبيلية مدينة ذات أسوار حصينة وأسواق كثيرة وبيع وشراء، وأهلها تجارهم بالزيت يتجهز به منها إلى أقصى المشارق والمغرب وهذه الزيت عندهم يجهب من الشرق وهذا الشرف هو مسافة الاربعون ميلا كلها تمشي في ظل شجر الزيتون والتين..."¹¹، وفي أي مدينة عندما تزدهر التجارة تكثر الفنادق¹².

¹ مدينة بالاندلس بينها وبين وادي آش اربعون ميلا وهي مدن البيرة وهذه المدينة خلت من اهلها وانتقلوا الى غرناطة (الادرسي: المصدر السابق، ص203؛ الحميري: المصدر السابق، ص45-46).

² أحمد مختار العبادي: مظاهر الحضارة في الاندلس عصر بني الاحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1997م، ص285.

³ سامية مسعد مصطفى: المرجع السابق، ص152-153-154.

⁴ سامية مسعد مصطفى: نفس المرجع، ص153-154.

⁵ الإدرسي: المصدر السابق، ص197-198؛ الحميري: المصدر السابق، ص537-538؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المرية الاسلامية قاعدة الاسطول الاندلسي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1984م، ص169-170.

⁶ الإدرسي: نفس المصدر، ص197-198؛ السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص169-170.

⁷ لإدرسي: المصدر السابق، ص197-198؛ الحميري: المصدر السابق، ص558؛ السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص169-170.

⁸ أوليفيا كونستبل: المرجع السابق، ص189؛ السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص169-170.

⁹ الإدرسي: المصدر السابق، ص178؛ ياقوت الحموي، ص195.

¹⁰ الإدرسي: نفس المصدر، ص178.

¹¹ الإدرسي: نفس المصدر، ص178؛ إشبيلية مدينة تقع على الوادي الكبير، تسمى حمص أيضا وهي عاصمة الموحدين وهي تقع غربي قرطبة (الزهري: المصدر السابق، ص89؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص195؛ أوليفيا كونستبل: المرجع السابق، ص61.

¹² عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص169-170.

مالقة الواقعة جنوب الأندلس¹ ، وجنوب قرطبة مدينة حسنة معروفة بتجارها وصناعاتها المتنوعة² ، وهي مليئة بالفنادق لاستقبال التجار من مختلف الأقطار : "... وبها فنادق وحمامات وبها من شجر التين ما ليس بأرض ..."³.

مدينة بجانة التي تعد باب الشرق فهي مرفأ ومرسى للسفن والمراكب التجارية⁴ ، وبجانة قريبة من المرية وبها فنادق مبنية بالحجارة لإيواء النزلاء من التجار والمسافرين ويذكر انه لم يبق مسكن لكثرة الوافدين عليها، فياقوت الحموي يذكر عنها : "... منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب ..."⁵.

مرسية مدينة تقع على نهر كبير يسقي ما حولها من جنات، وهي ذات أسواق عامرة وتجارة مرحة⁶ ، مدينة الزهور لكثرة البساتين البساتين فيها⁷ ، ومختلف الصناعات فهي شهيرة بصناعاتها اللوشي المذهب الذي يصنع منه الملابس، وصناعة الأسرة المرصعة والسكاكين والأواني الفخارية : "... ويصنع في مرسية من الأسرة المرصعة والحصر الفتانة الصنعة وألات الصقر والحديد من السكاكين والأمقاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس والجندي ما يبهر العقل ..."⁸ ، فكلام المقرري عن صنعة أهل مرسية دليل على أنها كانت قبلة التجار من مختلف الأقطار فهم يقصدونها لابتياح صنعتها فكانت الفنادق التجارية حاضرة لاستقبالهم والاعتناء بسلعهم وحيواناتهم بعد شرائها⁹.

فكل هذا يدل على أن هذه المدينة كانت ذات نشاط تجاري واسع مما أدى إلى بناء الكثير من الأسواق بها، وفي كل سوق يوجد بائع ومشتري والبائع أي التاجر لا بد له من توفير مسكن آمن، وعليه جاءت الفنادق لتؤدي هذه الخدمة.

5 - الفنادق المتخصصة:

عرفت الفنادق التخصص، فنجد كل فندق مخصص لسلعة أو تجارة معينة، فالتاجر يقصد فندقا معيناً خاص بنوع محدد من السلع مثلما ورد عند ابن حوقل: "... يقصد كل فندق بما يعلم أنه يغلب على أهله من أنواع التجارة ..."¹⁰ ، مثل فندق الفحم وفندق الكتان وفندق الملح والخضرة وغيره من السلع، فمجى الفنادق كان يأخذ الكثير من الأموال فيأخذ على بضائع الخضرة ثلاثة آلاف دينار ذهباً، والملح ألف دينار ذهباً ونصف ألف والفحم ألف دينار ذهباً¹¹ ، يظهر لنا بكل وضوح أن مجى فندق الخضرة أكثر غلاء من الفنادق الأخرى وربما هذا راجع لصعوبة تخزين الخضرة لأنها سهلة التلف.

¹ القلقشندي: ، ص218-219

² الإدريسي: المصدر السابق، ص204

³ لحميري: المصدر السابق، ص517؛ المقرري: ، ص201..

⁴ الإدريسي: المصدر السابق، ص204..

⁵ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص509.

⁶ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص119

⁷ ليفي برونفسال: حضارة العرب في الاندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، (د.ت)، ص38.

⁸ المقرري: المصدر السابق، ج1، ص202 .

⁹ المقرري: نفس المصدر، ج1، ص201-202..

¹⁰ ابن حوقل: المصدر السابق، ص362

¹¹ الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط2 ، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص116-117.

1- جدول يوضح بعض المدن الاندلسية وعدد الفنادق بها:

المدن	عدد الفنادق	المصدر والمرجع
المرية	790 فندقا	الإدريسي: المصدر السابق، ص 197 - 198.
قرطبة	1600 فندقا	أوليفيا كونستبل: المرجع السابق، ص 188.

2- جدول يوضح بعض السلع وأسعارها بالفندق :

السلع	اسعار حفصها	المصدر
الخضر	ثلاثة آلاف دينار ذهبيا	الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص 116-117.
الملح	ألف دينار ذهبيا ونصف الف	الزركشي: نفس المصدر، ص 116-117.
الفحم	ألف دينار ذهبيا	الزركشي: نفس المصدر، ص 116-117.

خاتمة:

يتضح مما تقدم أنّ اهتمام كل من سلطات المرابطين والموحدين بتشديد الفنادق وتعميرها ما هو الا اهتمام لتنمية التجارة وتطوير الاقتصاد، إذ اعتبرت الفنادق منشأة تجارية بامتياز وذلك لما توفره من أمن وأمان للنزلاء والبضائع والحيوانات. يتبين لنا مما سبق الفندق عبارة عن حي كبير توفرت فيه كل المرافق الضرورية للتاجر لكي يتسنى له ممارسة مهنته في ظروف حسنة.

المستخلص مما تناولناه أنّ وجود التجار والتجار بكثرة أدى الى بناء فنادق بعدد كبير وخاصة في المدن الكبرى بالأندلس وهذا لتردد المسافرين والتجار عليها.

ومما ذكرناه سابقا يظهر اختلاف تخصص الفنادق باختلاف البضائع المطلوبة، فكان لكل فندق بضاعة خاصة به، وهذا سهل للتجار عدم خلط البضائع وحفظها.

والمستنتج مما تقدم أنّ الاستقرار وحفظ الأمن يؤدي إلى ازدهار الاقتصاد، وخاصة حفظ سلامة التجار، فهذا عامل أساسي لقيام التجارة واقامة العلاقات في أي بلد كان، وعليه أضحت الفنادق التجارية عامل أساسي لقيام التجارة وذلك بكونها بناية معمارية تجارية تحفظ الاستقرار للتجار وتضمن سلامة سلعهم.

يتبين لنا مما تناولناه وإن أسقطنا التاريخ الاقتصادي على الواقع والاستفادة من تجارب الأمم السابقة فسيكون نمو الاقتصاد جد كبير وسريع، فالفنادق بالحاضر ستساهم في الاستثمارات الكبيرة للبلاد مثلما ساهمت بالماضي، وبالتالي النهوض بالاقتصاد.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والاندلس، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).
- 2- الإدريسي: المغرب وارض السودان ومصر والاندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مطبع بريل، ليدن، 1823م.
- 3- ادم متز: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري او عصر النهضة في الاسلام، ترجمة محمد عبد الهادي ابوريد، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، مج2.
- 4- أوليفيا ريمي كونستبل: التجارة والتجار في الاندلس، تعريب فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، 2002.
- 5- جودت عبد الكريم يوسف: الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت).
- 6- جودت هلال ومحمود صبح: قرطبة في التاريخ الاسلامي، 1986م.
- 7- حسين مؤنس: معالم المغرب و الاندلس، دار الرشاد، 2004م.
- 8- الحميري: الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، ط2، 1984م.
- 9- ابن حوقل: صورة الارض، بيروت- لبنان، 1996م.
- 10- ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، ضبط المتن خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر، لبنان- بيروت، 2001م.
- 11- ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب في روض القرطاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.
- 12- الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.
- 13- الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق باسل عيون السود، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1998م، ص91؛ الفائق في غريب الحديث، تحقيق علي الجاوي ومحمد ابو الفضل، ج1، بيروت - لبنان، 1993م.
- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الاقاويل في وجوه التأويل، تحقيق مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 2003م.
- 14- الزهري: كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، الظاهرة، (د.ت).
- 15- سامية مسعد مصطفى: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في اقليم غرناطة في عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003م.
- 16- بن سيدة: المحكم والمحيط الاعظم في اللغة، تحقيق عبد الستار احمد فراج، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، (د.م)، 1958م.
- 17- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المرية الاسلامية قاعدة الاسطول الاندلسي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1984م.
- 18- السيد كمال ابو مصطفى: تاريخ الاندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، (د.ت).
- 19- السيد محمود: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2007م.
- 20- عاشور عبد الفتاح: تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م.
- 21- العمري (لابن فضل الله العمري شهاب الدين ابي العباس احمد بن يحيى ت749): مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق محمد عبد القادر خريسان وعصام مصطفى هزيمة ويوسف احمد بن ياسين، ج4، الامارة العربية، 2001م.
- 22- عيسى بن ديب: المغرب والاندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية 480-540هـ/ 1056-1145م، رسالة مقمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، اشراف احمد شريف، 1429-1430هـ/ 2008-2009م.
- 23- أبوالفدا(عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفدا صاحب حمات سنة732): تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ت).

- 24- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة النهضة، القاهرة، (د.ت).
- 25- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط8، بيروت - لبنان، 2005م.
- 26- الفلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة، 1915م، ج5.
- 27- ليفي برونفسال: حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، (د.ت).
- 28- المطرزي: المغرب في ترتيب المغرب، تحقيق محمود فاحوري وعبد الحميد مختار، ج1، مكتبة اسامة بن زيد، حلب - سورية، 1979م.
- 29- المقرئ: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ج1، 1988م.
- 30- ابن منظور: لسان العرب، مج4، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- 31- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1.
- 32- مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ج1، مصر، 1980.
- 33- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط2، مكتبة الشروق، مصر، 2004م،

Dufourcq(ch .e) : l'Espagne catalane et le Maghreb, universitaires de France, 1966.

Hedy(W) : Histoire du commerce du levant au Moyen-Age, Leipzig, 1886.